الضياء بهـرا
Bahra No. 403 Sun. 30 Sep 2007

أعظم الكنائس في العالم

أ. فؤاد يوسف قزانجي

كان الاعتقاد سائدا في حقل تاريخ الكنيسة ان كنيسة "ايا صوفيا" في اسطنبول "القسطنطينية" تعد اليوم ثاني اعظم كنيسة بعد كنيسة القديس بطرس في روما. والحقيقة التي توصلنا اليها بعد زيارتنا الى مدينة شباير في جنوب المانيا، ان الكاتدرائية الأمبراطورية هي على الأرجح ثاني أعظم كنيسة في العالم أو على الأقل من ضمن الكنائس الكبرى مثل كنيسة ويستمنستر وكنيسة القديس بول في بريطانيا وكنيسة كولون في المانيا الى جانب كنيسة القديس بطرس وكنيسة ايا صوفيا.

اما بالنسبة الى كنيسة ايا صوفيا Aya Sophia في القسطنطينية عاصمة الأمبراطورية الرومانية الشرقية التي كانت تشمل جزءا من الأراضي التركية وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ومصر حتى القرن السابع الميلادي فقد شيدت هذه الكنيسة الكبيرة أو الكاتدرائية عام ٤٦١ في عاصمة الأمبراطورية الرومانية الجديدة Constantinople وأعيد بناؤها من جديد لتكون أكبر كنيسة في العالم وذلك في السنوات ٥٣٢–٥٣٧ على يد الأمبراطور جوستنيان وقد قام بالتخطيط لعمارتها المهندسان انتهميروس وايسيدورس. يمتاز بناؤها بوجود قبة ضخمة يعتقد بأنها أكبر قبة بنيت في العالم اذ يبلغ ارتفاعها "٥٠م" وقطرها "٣٠م" وتبدو كأنها معلقة بشكل مستقل وتحيط بالقبة "٤٠" نافذة. وقد رسمت على القبة من الداخل صور من الفسيفساء تشمل مريم العذراء ويسوع المسيح وكذلك ثلاثة ملائكة ذات أجنحة وقد رسم وجه الملاك الأول على هيئة أسد، والآخر على هيئة ثور والثالث على هينو نسر. كما رسمت على الجدران الشمالية من المدخل صور بطريرك القسطنطينية في القرن الرابع كريستوفرسوس وبطريقها في القرن التاسع اكتماتيتوس. ويوجد في الكنيسة عمودان ضخمان بشكل أسطواني يسمى الأول الأسطوانة الباكية يقابلها الأسطوانة العارفة. ورسمت على الجدران ايضا صورة الأمبراطور جستنيان وهو يقدم نموذجا مصغرا للكنيسة الى السيد المسيح. وعلى الجدران قرب الباب صورة السيد المسيح وبجانبه مريم العذراء ويوحنا المعمدان وهما يتضرعان الى السيد المسيح ليساعد المذنبين ويغفر لهم.

ان تعبير ايا صوفيا هو احدى الصفات الثلاثة التي تنسب الى الله وهي ايا صوفيا "الحكيم المقدس" وايا ايونيني "الطمأنينة أو السلام المقدس" وايا ديناميس "القوة المقدسة".

في عام ١٤٥٣ استولت على القسطنطينية وما جاورها الأقوام التركية بقيادة محمد الفاتح، فجعل من كنيسة ايا صوفيا وجميع الكنائس الاخرى جوامع للمسلمين. وقام الأتراك بحك صور الصلبان اينما وجدت وتهديم بعض التماثيل الموجودة، ووضع الجص لتغطية جميع الصور الفسيفسائية المرسومة على الجدران والصور الاخرى، واضيفت مجموعة من القطع المستديرة بأسماء الخلفاء وبعض أسماء الله الحسنى. كما جرى بناء أربعة منائر عالية وعلى فترات في جوانب الاتجاهات الأربع للكنيسة من الخارج وبناء محراب في الجهة الشرقية وسلالم ومنبر..الخ. وظل الأمر هكذا حتى عام ١٩٣٤ حينما قرر الرئيس التركي كمال اتاتورك تغيير سياسة الدولة العثمانية، وأمر برفع الملاط عن جميع الصور واستغرق الأمر أربع سنوات لاعادتها كما كانت تقريبا حيث افتتحت مرة اخرى كمتحف في عام ١٩٣٨ لجميع الزوار (١).

اما كنيسة او كاتِدرائية شباير في المانيا، فقد شرع ببنائها عام "١٠٣٠م" لتكون اكبر كنيسة في العالم. وكذلك من اجل ان تعكس عظمة الأمبراطورية الرومانية المقدسة في اوربا، لذلك جمعت الكنيسة بين عظمة العمارة وضخامة حجمها وبين فن النحت والطراز القوطي. فقام مجموعة من النحاتين والمثالين بإعداد تماثيل للأباطرة والملوك الذين كانوا في المانيا بالاضافة الى كبار رجال الدين. والحقيقة ان هذه الكاتدرائية التي انتهي من بنائها عام "١١٢٤م" تتألف مما يلي:

أولا: الواجهة حيث تشاهد على المدخل خمسة تماثيل، فالأول موضوع على قوس حجري مزين يمثل القديس ستيفانوس شفيع الكاتدرائية. والتمثال الثاني موضوع على قوس حجري آخر يمثل الملاك ميخائيل ويلفظ بالألمانية "ميشايل" وهو شفيع المانيا كما هو الحال القديس جورج في بريطانيا. والتمثال الرابع ليوحنا المعمدان والخامس الى برنارد دي كليرمو أشهر شخصية المانية في القرن الثاني عشر. وقد تم اكمال التمثال ووضعه عام "١١٤٦".

ثانيا: الشرفة المسقفة Porch: يوجد شرفة مسقفة تمتد من الجهة الغربية من الكاتدرائية التي تمثل من جهة غروب الشمس وحلول الظلام، فعندما يدخل المؤمن الى الكنيسة من جهة الغرب ليكون جلوسه من جهة الشرق، أي انه ينتقل من الظلام الى النور، وخلال اختراقه هذه الشرفة يتخلص المؤمن من أفكاره السيئة ويجعل الظلام خلفه حتى يصل الى وسط الكنيسة حيث يرى صورة المسيح وهويرتفع الى السماء وهو يشع نورا.

ثالثا: صحن الكنيسة المركزي، عندما يخترق المؤمن الصحن، يجد انه يرتفع سقفه حوالي عشرين مترا مستندا على اثني عشرة عمودا ضخما تشير الى تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر. هذا الصحن الضخم يتألف من ستة أروقة ترمز في العصور الوسطى الى السماء. وترى على الشبابيك التي ترتفع امام المذبح كتابات محفورة على الجزء الذي يمثل ارضية الصحن تتضمن دعاءا دينيا موجها الى القديس كليمنز احد القديسين المحبوبين في المانيا.

رابعا: الطابق الارضي تحت الصحن، وهو اول جزء بني من الكاتدرائية ووضعت فيه أضرحة الأباطرة والملوك الذين توفوا منذ منتصف القرن الحادي عشر وحتى نهاية القرن الثاني عشر.

واخيرا فانها على شكل مستطيل يمتد من الشمال الى الجنوب يبلغ طوله حوالي ١٠٠٠م وعرضه حوالي ٤٠٠م.

أهم المصادر

1. Istanbul: A City Guide. Istanbul: Mert Basim,2005.

2. امام، امام عبد الفتاح. معجم ديانات وأساطير العالم. القاهرة: مطبعة مدبولي، "١٩٩٥"، المجلد الأول.

بكائية على صدر الوطن

علي الموسوي

يالغرّبت وياك هاك اخذ العيون
خافن لعند الغير صدّن يكولون

وصل وطني الى المنفى وعاد الى الوطن مرة اخرى، لم اشبع منه، كنت نهما كعادتي، تذكرت وطني في هذه المدة بين الكتب والمكتبات والاصدقاء، مشيت مع وطني كثيرا، فالمشي مع الوطن لا يتعب كمن يمشي وحيدا وغريبا، ١٢ يوما مضت كأنها ١٢ جزء من الثانية، لم اشبع من شيبه ولا من كلامه ولا من يده التي حملتني صغيرا، وطن يأتي الى المنفى ويأتي منفى او منافي الى الوطن، جرعة تخدير كل عدة اشهر، نهر غربتي المجنون لم اجد من يصده غير هذا الوطن المجروح، البارحة بكيت بقوة الف امرأة كما يقول علي السوداني حينما ركب وطني الى مطار طهران، وادمنت الدموع كما اقول أنا، كانت عملية "فرمتة" لقلبي، ازالت السخام والصديد عنه، لم أعلم ماذا افعل بالبداية، أأبكي؟، أأضحك؟، اكتب؟، اسكت؟. لم اعلم لكنني وجدت نفسي احتضنه برفق لئلا اوجع الوطن.

تصرفت بدكتاتورية مع الجميع ولم استخدم المحاصصة، مع شجب الاقليات لموقفي، جلب لي معه ديوان صاحب الضويري، ايه يا صاحب:

بدت بيّه بلاوي تعارج الحيل واهو يا حيل ظل وبيه اماطل؟..
لون دهري اجاني مشرعب الخيل ارد اضحك واكولن وكتي جاهل
عقه كلبي شحمل لوعات وشال مصايب سود من ذيج الليالي
ما اوجد تراني مدوهن البال ناحط بالعذاب الماله تالي
طويل وللمودة كصار الحبال ويعينه الله الوحيد الماله والي
يقربيه الوكت فر المحاجيل ورماني بعيد ببحور المشاكل

وخذني الروج عت وحدر السيل ولن جفي غده من الفوج عاطل
أذن ماذا اقول لك؟..
بدت بيك البلاوي تعارج الحيل؟ شتحجي عالذي بايران نازل؟..
مكتبتي بعيدة ودمعتي تسيل واتة مفارك ابوي وجسمي ناحل

••••

غريب بقم يخوتي وحالتي شلون كلفة وانتم تمسحون الدموع
عليّ يخاف ابوي وحيل ممنون بس شلون ما اصبر بلارجوع
من اصابيع الندم شو ضاجت اسنون؟ كامت ما تعض صارلهه اسبوع
وهالوادم غرب جنهم مخابيل هل يكصون بينه جالمناجل
وحشة بغربتي شو ماكو ترحيل؟ اتة اشتاكيت لدروب ودعابل

••••

فاركت الوطن من تسعة شهور وجنهه سنين صارت عليّ صعبة
وردة اتة صرت والوحشة زنبور تكرصني وتطلع بيدي حبّة
حضن جدي اليضمني سنين ودهور نختل يمة لو صارت "الطبة"
وبيبيتي كمر وكتاب تنزيل تحييّ رجوعي بضحكة وهلاهل
انام اتة بحضنهه خل يجي الليل مخايف منك بذني المنازل

••••

غريب اتة اظل عن هذي الديار ولبغداد اتة مشتاك والبصرة
اللي بيهه معقّل بيه ابو ديار عني يشيل الكلف ويكلبه تمرة
يمتة اتة تجي وتشوف الانهار من عيني تطيح تصير جمرة
جدمي ما جلد ما يكدر يشيل عين هزات دمعي والزلازل
مشتاك ارد ابوسك والشناشيل تظل شاهد على عودة مقاتل

سأبقى لأجلك ياوطني، لا خوفاً من الموت فأنا ميت لكن دفني تأخر، لكن براك وجروحك ليست بالقليلة لكي اصبح أنا احداهن، حملت مالم يحمله أيوب، رغم انك حسين.

في المنفى، لا يبقى للقلب ذكر، اعيش على فتات المحبة، فلا يوجد صديق هنا كصديقي في بغداد، فم تلك العجوز التي تمتص دمي، غرباء فيها "مقام العذارى بدور الخنا" ايه عربو!، الكل يصرخ بي حينما يراني لكن ما أخافه انني حينما أعود يناديني أحدهم بـ "آغا" كما حصل مع احد جبال الحزن.

كم الادب جميل في عينيك، وكم اعشق الشعر الذي تتفوه به يا وطني، كم اعشق انتماءك لتربتك، كم اعشقك ياااااااااااه!.. اذن لماذا فرطت بك؟، لماذا عبرت الحدود؟، لماذا خرجت من الجحيم الذي طعمه كالجنة وذهبت الى جنة لها طعم كالجحيم؟، لماذا يرفسني الوطن الاكبر؟، قال لي احدهم: احذر لئلا يسرقوا جواز سفرك، فقلت له: لا تخف انه عراقي!.

كم هو موحش شارع "ولي عصر" في طهران رغم الابنية والحسناوات، وكم هو جميل حينما تمشي فيه مع وطنك، كم هو جميل الطعام مع الوطن رغم انه كان مرّاً حينما تزدريه وحدك، حتى السيجارة كم هي لذيذة إن اعطاها الوطن لك، الله يا وطني، اوطان عدة تجيء وتذهب، لكنك في النهاية تبقى وحيدا كأي صفصافة زرعت في المنفى فهل سيأتي يوم ويزرعك احدهم في الوطن؟، اه يا روحي:

وانتي لا جف التنشف العين لا دار التحبيهم جريبة
هذا سهمج والسهم لوعات والخاته الوكت يرضه بنصيبة
بالتريدين الولف ولف البعيد منين اجيبة؟
بالمثل دلة استوت بوجاغ ما يخمد لهيبة
بالتظنين بعظم بلواج ما صارت مصيبة
كم احب البكاء!

وهل من شيء يثبت عراقيتي غيره؟
هل يوجد من يبكي مثلي؟
كنت اعلم إن بكائي مو...سوي ويبكيه موسوي
اهذا هو منك علينا ؟
أن نرث الارض؟؟
نحن ورثنا الحزن
جاتوا يجون الربع لينة وادحلب وانس

••••

جدم الضويري لون كل الارض يالها
ما يلكة مثلك وطن بين الجن والانس
لن اجد مثلك
سأغالي في حبك كأبي الخطاب في علي بن أبي طالب
ولا يهم ان احرقوني
يا دجلة الخير قد هانت مطامحنا
حتى لادنى طماح غير مضمون
اتضمنين مقيلا لي سواسية
بين الحشائش او بين الرياحين؟
أنتظرك يا وطني
أنتظر جرعة التخدير القادمة
بدأ الالم الان من جديد

••••

قم الـ......مللت لا اعلم ماذا..

* عن موقع كتابات.

احتفالية "قورما"

بقلم: بدران امرايا

طقس او لعبة من العابنا الشعبية الاصيلة والتي تعود الى غابر الازمان والعهود وكانت تمارس باجواء قرانا الكلدوآشورية وخلال ليلة رأس السنة البابلية الآشورية "اكيتو" قبل الميلاد ومن ثم تحول الاحتفال بها الى ليلة رأس السنة الميلادية أي بمثابة احتفالاتنا الحالية بعيد رأس السنة وطقوسه المتشعبة من عمل المغارة او شجرة الميلاد "كرسمس" او التنكر بزي القديس الخيالي بابا نوئيل وغيرها، وخلال اجواء هذه الليلة الشتوية والثلجية القارصة والتي كانت تحل على اجواء قرانا الجبلية، وهذه الممارسة المحببة من النفس والجميلة كانت جزءا يسيرا وبسيطا من سفر امتنا الفولكلوري المجيد والذي يفرض علينا امانة الحفاظ عليه باي شكل من الاشكال من الاندثار والنسيان لانه وعلى اقل تقدير يسهم وبشكل فعال في بلورة وتجسيد هوية امتنا بتراثها الزاخر، وكما اسلفنا في مناسبات اخرى فكان لقرانا عادات وممارسات وتقاليد اجتماعية ربما كانت تتميز بطابع البساطة والفكاهة من حيث المعالم والممارسة الظاهرة للعيان ولكنها من حيث المعنى تزخر بسمو القيم، وابناء قرانا حافظوا عليها وكأنها امانة ما بعدها امانة ومستمرة من جيل لاخر مثلما حافظ هذا القروي على حياته وحاجياته ومارسها على اختلاف الظروف.

و"قورما" كلمة سريانية تعني قطعة او لوح خشبي متوسط الحجم وغير هندسي الشكل والابعاد وهذه القطعة الخشبية كانت توضع خلال ليلة راس السنة الميلادية وسط البيت ويلتم حولها افراد العائلة بعد ان تهيأ كافة مستلزمات تلك الليلة الشتوية السعيدة والمؤثرة في نفسية ومخيلة ابناء العائلة وبالاحرى الاطفال منهم وتحضر سفرة غذائية دسمة مليئة بكل مالذا وطاب من الفواكه المجففة آنذاك لعدم وجود الثلاجات الحالية مثل المشمش، الرمان، الكمثري، السفرجل، الجوز، التفاح، الزبيب، وكرس التين..

الى جانب حب الشمس والحبة الخضراء "البطم" بنوعيه الكبير والناعم والبلوط المشوي والاكلات الاخرى، وكان هذا الطقس من بطولة آخر عنقود العائلة "الطفل الاصغر" والذي كان ليلتها يحمم و يلبس الملابس الجديدة ويزين بابهى صوره ويوضع على ذلك اللوح الخشبي "قورما" ومن ثم تبدأ الهلاهل والزغاريد والتصفيق والغناء والرقص وهم يحومون حول الطفل السعيد المركون على القورما وينثرون الحلوى على راسه ومن ثم تبركته بالميلاد وراس السنة وبعدها يجلس الحضور حول السفرة المعدة وعلى مقربة من المدفئة الخشبية التي كانت تتوسط البيت.

ووسط هذه المشاعر الدافئة والجياشة كانوا يحيون هذه المناسبة وعلى طرقهم الخاصة والبهجة تغمرهم تاركين كل المشاكل والخصامات والنزاعات يطويها العام الفائت ويطهرون قلوبهم من كل اثم انطلاقا من تلك اليلة السعيدة وكانها ان صح التعبير ليلة التكفير عن الذنوب والابتداء بصفحات ناصعة البياض، والمغزى من الطفل الصغير كونه آخر العنقود ويفرح اكثر باسناد البطولة اليه خلال هذه الليلة بالذات، اللوح الخشبي يعني ان هذا الطفل بمثابه جذع الشجرة للبيت وسيكون ملاصقا للارض والبيت على عكس الاخرين الذين سيتزوجون ويغادرون على حال سبيلهم، لكنه هو سيرث البيت وهو جذع البيت اساسه "قورما دبيتا" بالسريانية وسيظل موجودا بصحبة الوالدين ولن يبرح البيت على حد تصورهم، وكانت المراسيم تمتد حتى منتصف الليل حيث تبدأ السنة الجديدة فيهنئون انفسهم والآخرين بالعام الجديد وما يحمله لهم من آمال وطموحات وسعادة وشقاء وتعاسة وغيرها من المعاني والدلالات.

Badran_ omraia @ yahoo.com

ما أصعب أن تكون إنساناً

المهاجر

ما أصعب أن تكون إنسانا..

ما أصعب أن ترى نفسك غريبا وأنت بين ذويك وأحبتك، وما أصعب أن تشعر بالغربة وما بعدها من غربة، وأنت في وطنك وعلى أرض أبائك وأجدادك، الأرض التي ضحيت بكل غال ونفيس من أجلها، الأرض التي ضحى آباؤك وأجدادك ببحار من الدماء والدموع لأجيال وأجيال في سبيلها، الارض التي ولدت فيها وسحرت عينيك بسحر وجمال ورودها وأزهارها، وتنفست هواءها وشممت عطرها وعبيرها. وما أصعب أن تعود إلى أرض هجرتها وفارقتها مرغما ودون إرادتك، وتجد كل ما فيها وما عليها قد تغير وتبدل. وما أصعب أن تخسر شخصا عزيزا على قلبك، أو أن تفقد رفيقا حميما، له خصوصية ومكانة فريدة لديك وفي نفسك. وما أصعب أن تتسع الهوة بينك وبين من أحببت من البشر ومحبيك وتتباعد، لا لشيء سوى لأنك لا تسبح مع التيار كما هم، بل بعكسه، لا لسبب فقط بل لاسباب واسباب أساسية وجيهة ومقنعة يقول لها المنطق.. نعم.

وما أصعب أن ترى أعزتك وأحباءك وهم يتسابقون مسرعين ليلقوا بأنفسهم في جحيم المهالك والويلات والمآسي. وما أصعب وأنت تناديهم بأعلى صوتك وبكل ما اوتيت من قوة فلا يسمعونك، ولا يريدون أن يسمعوك. وما أصعب أن ترى الناس وهم يجعلون الأبيض أسود والأسود أبيض، على علم أو بغير علم، غير آبهين ماقد يدر عليهم عملهم هذا في الغد أو بعد غد. وما أصعب أن ترى التحريف والتخريف في الإسم والمسمى وفي المواقع والألقاب وتصبح معكوسة تماما، فيصبح العالم جاهلا والجاهل عالما، والعلم مهزلة وحمقا، والرياء كفاءة وذكاءا، والبريء مجرما والمجرم بريئا، والمخلص خائنا والخائن مخلصا، والشجاع جبانا والجبان شجاعا، والأمين سارقا والسارق أمينا، والفيل فأرا والفأر فيلا، وهكذا دواليك، وكل ذلك يحدث دون أن يتفوه الناس ببنت شفة، وأنت ترى بأم عينيك وملء ناظريك. وما أصعب أن ترى قدوم خريف الورود والأزهار ومجيء ربيع الأشواك والأدغال، وما أصعب أن ترى إضمحلال لغة الشعر والشعراء وإزدهار لغة النذالة والأنذال. وما أصعب أن ترى، أن تزداد لغة العفو والسماح كسادا وأن تزداد لغة العنجهية والعجرفة رواجا. وما أصعب أن ترى الحكيم عاجزا في فهم المستبد "المتغطرس، المتعجرف" وإقناعه ويلعب به المراءى كيفما يشاء وكيفما يريد.

ما أصعب أن ترى الناس وهم يعالجون الخطأ بالخطأ ويبادلون العنف بالعنف، ويردون على القبح بالقبح. وما أصعب أن ترى نفسك منعزلا عن مجتمعك وأهل الوطن ورفاقك ومبعدا في محيطك وبيئتك. وما أصعب أن يتهمك من تحب عن قصد أو بدون قصد بتهمة وأنت بريء منها براءة الذئب من دم يوسف. وما أصعب أن يسيء فهمك وإستعمال طيبة قلبك ونزاهتك وكفاءتك وصبرك وتحملك دليلا وبرهانا على ضعفك وجبنك وقلة مقدرتك على الجواب والرد والمواجهة، علما إن إباء نفسك وجمال خلقك ورزانة عقلك يمنعك من النزول إلى مستوى لا تحب أن ترى نفسك فيه، في حين إن لديك من المقدرة والإمكانية ما تستطيع أن تفعل بهم ما يفعله زئير الأسد بحيوانات الغابة. وما أصعب أن ترى شخصا ما أن يقوم بعمل ما ضد شخص أو جهة ما دون حساب أو تفكير، وعند الإحساس بالخطر، ينهار راكعا ذليلا ما بعده من ذل.

وما أصعب أن يدب الضعف والوهن فجأة، لسبب من الأسباب، في نفسك وتفكيرك ويمنعك من مواصلة سيرك، ويعيقك من تخطي خطاك، وأنت قريب من مبتغاك. وما أصعب وأنت في أواسط أيام عمرك، وفعلت الأيام بك كما تفعل العاصفة بالورود والأزهار، وإنك فشلت في الوصول إلى أمنياتك التي ضحيت بكل ما تملك وما لك من أجل تحقيقها والفوز بها. ما أصعب أن تستيقظ من آلام و أوجاع جروح الغدر والخيبة التي إقترفها أقرباء القلب الذين خانوك، وارتكبوها بحقك، وسلبوا منك بيدر عمرك، وتركوك وحيدا تائها في جحيم الحيرة والدهشة، وفي عذاب اليأس والندم، وتجر وراءك أحمال الفشل وأعباء الخسارة والخذلان. وما أصعب وما بعده من الصعوبة والصعاب، وأنت مجبر في رحة الحياة، أن ترافق أشباه الناس، وأنت مرغم أن تعاملهم كإنسان، ومحكوم عليك أن تقبل منهم أن يعاملوك كأشباه الإنسان، لأنهم خلقوا ليعيشوا كأشباه الإنسان. وما أصعب كل وضع من الأوضاع التي مرت ذكرها، فبمجرد سماعها يشعر الإنسان بالحزن والأسى، ويرتجف من هول وقعها وفضاعة مآسيها.

ولكن الأصعب من كل هذه الأوضاع مجتمعة، وبأضعاف وأضعاف مضاعفة أن تكون إنسانا، إنسانا بحق وبكل معنى الكلمة، وأن تحافظ على الإنسانية وقيمها ومبادئها.